العادات التسموية في المجتمع الجزائري بين الماضي والحاضر: دراسة ميدانية

الأستاذة: قاضي فريدة
قسم علم الاجتماع
جامعة الجزائر

ملخص:

لقد أصبحت المرأة الجزائرية تحظى بامتيازات وضعها التعليمي والمهني، وأصبحت تشغل أدوارًا خارج المنزل وذلك نتيجة لتطوّر أساليب التنشئة الاجتماعية وما منحته لها من مكانة وأدوار جديدة ومتعددة، و قد ساهم وضعها الجديد في تشجيع فرص التواصل في الأسرة وبناء استعدادات لدى زوجها للاستماع لآرائها ومشاركتها له في انتقاء الاسم كمظهر من مظاهر تقاسم المسؤولية، وقد أثر هذا التغير العام على الواقع السوسيوثقافي للعادات والتقاليد التسموية المحلية، وأصبحت العائلة وبالخصوص الأم الجزائرية تتعامل مع نمطين جديدين: أسماء مستحدثة تحمل بين طيَّاتها مبدأ الاندماج من جهة، وأسماء مستحدثة أخرى تحمل بين طياتها مبدأ اللامعيارية وقد صاحب هذا الأخير صراعات نفسية واجتماعية وثقافية مما أدى إلى إضعاف الروابط العائلية، كما لعبت وسائل الإعلام الغربية بكل ما تبثه من قيّم ومعايير غريبة عن المجتمع الجزائري على تفعيل هذا الصِّراع لتتجاوز العادات التسموية أشكالها الأصليَّة واللَّصيقة بالمجتمع الجزائري.

وقد حصرنا موضوع دراستنا تحديدا في التأثيرات وأهم التغيرات التي يحددها الجيل من خلال المقارنة بين الحماة التي تمثل النموذج التقليدي والكنة التي تمثل النموذج العصري، ثم تأثير المستوى التعليمي وعمل الكنة على العادات التسموية التي طرأ عليها التغيير.

مقدمة:

لقد استحوذ "اسم العلم" اهتمام الكثير من الألسنيين والفلاسفة الذين كانوا يبحثون عن أصول ودلالات "أسماء الأعلام"، إلا أنهم لم يولوا الاهتمام لأسباب التسمية، ليسد هذه الثغرة الاثنولوجيين وعلى رأسهم "كلود ليفي ستراوس" الذي

كرس في كتابه الفكر البري (1962) فصلين لوقائع التسمية حيث يحدد ثلاث وظائف لمنح "اسم العلم" وهي التعريف والتصنيف والدلالة حيث يسمح اسم العلم " التعرف على الذات من خلال التسمية أو التعريف بها عبر دلالتها الكامنة في الاسم، وتضاف إلى وظيفة التمييز غاية تصنيفية حيث يكون الاسم بذلك قادرا على الارتباط بسلسلة من الانتماءات إلى مجموعات اجتماعية مختلفة: عائلية، قبيلة، سياسية، دينية، إقليمية، تاريخية، وتمارس كل دلالة انتماء دورا محددا لهوية جماعية" (بونت،ب.وإيزار م.2006: 78)

وعلى الرغم من اهتمام الباحثين في شتى مجالات العلوم الإنسانية وبخاصة مجال اللسانيات والفلسفة وعلم النفس الاجتماعي والاثنولوجيا بموضوع التسمية على المستوى العالمي، فلا يزال قصورا ملحوظا في الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع في المجتمع العربي بوجه عام والمجتمع الجزائري بشكل خاص، لهذا جاء بحثنا كمحاولة لإثراء التراث العلمي الخاص بموضوع عادة التسمية.

وقد حصرنا موضوع دراستنا تحديدا في التأثيرات وأهم التغيرات التي يحددها الجيل من خلال المقارنة بين الحماة التي تمثل النموذج التقليدي والكنة التي تمثل النموذج العصري، ثم تأثير المستوى التعليمي وعمل الكنة على العادات التسموية التي طرأ عليها التغيير.(أنظر قاضي،ف.2005)

1-<u>الإشكالية</u>:

لكل مجتمع منظومته الذاتية لتعريف أفراده وفق خياراته التسموية، ويتميز المجتمع الجزائري بمنظومته الخاصة؛ فقد جرت العادة في الوسط التقليدي الجزائري أن يقوم الأب أو الجد أو المعيل بانتقاء اسم للمولود يوم السابع، كما قد يطلب من الطالب أن يسمي المولود الجديد بدلا عنه حتى يجلب له البركة، وغالبا ما كانت تتم تسمية أول مولود ذكر ب "محمد" والأنثى ب "فاطمة"، أو يتم تسميته باسم ولي صالح بالمنطقة تبركا به، كما يتم خلف اسم الجد المتوفى استجابة لنظام القرابة

الذي يعمل على المحافظة على تماسك بنية العائلة بخلف اسم القريب الميت في الحي، ويعتبر "بيير بورديو" أسماء الأعلام " شعارات الرأسمال الرمزي لجماعة ذات نفوذ، فهي رهان لمنافسة شديدة: ذلك أن امتلاك دلائل موقع النسب (فلان ابن فلان ابن فلان) إن صح القول يسمح بالاستحواذ على " لقب " يضفي امتيازات لميراث الجماعة، و بالتالي خلف اسم الجد في المولود الجديد لا يعبر عن قيمة طاعة الوالدين بقدر ما هو إعداد الطفل سلفا لإحياء الجد المسمى به ليرث هذا الأخير في أعبائه وسلطته..." (BOURDIEU, P.1980: 457).

لقد اعتبر علماء الفولكلور أن مقياس حضارة وهويّة العائلة هي بمقدار ما تنتجه من عادات وتقاليد خاصة بها من جهة، ومن جهة أخرى هي بمقدار ما توليه من اهتمام ومحافظة على عاداتها وتقاليدها الأصيلة واللّصيقة بكِيانها الرُّوحي والمادّيّ ومصدر هويّتها الثقافية والحضارية عبر مراحل تاريخها الطّويل." (شرابي، هـ. 1991: 20)، وتعتبر العادات التسموية من أهم العادات والتقاليد التي كانت راسخة في الذاكرة الشّعبية وحافظت عليها العائلة التقليدية في الماضي، لما لها من تأثير كبير على نمو شخصيته، حيث تختلف تحديد بداية مرحلة الطفولة بالمفهوم الاجتماعي، فبعضها يرى أن الحياة تبدأ منذ بداية الحمل، وبعضها يحدد بدايتها بتحرك الجنين في بطن أمه، أو بالميلاد، وأخرى بالتسمية حيث لا يتأكد الوجود الاجتماعي للطفل إلا بالاسم الذي يعتبر تكريس للميلاد الاجتماعي من خلال إدماجه في المجتمع المحيط به، وبذلك ينتقل المولود الجديد من الكائن البيولوجي إلى الكائن الاجتماعي.

"تستقبل العائلة التقليدية الجزائرية المولود في جو تسوده الألغاز والسِّحر والطقوس الدينية، وتشبث بالتقاليد الذي كان لا يزال أقوى من طب الأطفال" (ZERDOUMI N.1979 :72.)، ويعتبر المولود الجديد أكثر عرضة للعين، فقد تسبب له تأثيرات العين مرضا نفسيا، عقليا أو جسديا قد تصل إلى درجة موته،

والعين هي تلك الشحنة السحرية المدمرة التي تقذفها النظرات الحاسدة، حتى عن غير قصد، ولذلك يصنفها العلامة المغاربي ابن خلدون ضمن "التأثيرات النفسية " أو القوى الرمزية التي تصيب الإنسان، مما يستدعي اللجوء إلى مجموعة من الطقوس والوسائل الرمزية لرد أذاها بما في ذلك الاسم، فقد "ينطوي الاسم على مواصفات تبلغ أحيانا درجة إقامة علاقة بين إطلاق التسمية والوضع، الفعلي أو المأمول، لمستقبل الشخص المعني " (بونت، ب. وإيزار، م. 2006: 79)، هذا يجعلنا نفكر في العديد من الممارسات التي تقضي إلى تغيير اسم المولود المريض لإبعاد العين عنه، أو إطلاق أسماء تدعو الى العيش مثل: "عياش ، عياشي" ، أو إطلاق أسماء مذمومة على المولود للمعتقد السائد أن ذلك يجعلهم يعيشون أوخوفا من العين" ، أو إطلاق أسماء تطلق على البنت تدعو إلى الكف عن إنجاب الإناث مثل بركاهم وحدة.

وقد مرت العائلة الجزائرية في السنوات الأخيرة بتغيرات نتيجة التطوّر السريع الذي مس شتى الجوانب مثل البنية الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأصبحت العائلة المحلية تتميز بتطوّر تدريجي باتجاه الأسرة المصغّرة النووية كما "تعرضت هذه الخلية العائلية لتحوّلات عميقة بلغت مستوى العلاقات الشخصية الداخلية كذلك تغيرت بصفة جذرية وضعية كل من يشكل هذه البنية وأصبح الكل يشارك في الصِّراع بما في ذلك المرأة" (MEGHERBI, A. 1986: 129)، وأصبحت المرأة الجزائرية تحظى بامتيازات وضعها التعليمي والمهني، وأصبحت تشغل أدوارًا خارج المنزل وذلك نتيجة لتطوّر أساليب التنشِّئة الاجتماعية وما منحته لها من مكانة وأدوارٍ جديدة ومتعددة، فقد ساهم التعليم الأم باعتباره شكلا من أشكال النجاح الاجتماعي، والعمل الذي يخلص عموما في مبادئ تقاسم المسؤولية الاقتصادية في تشجيع فرص التواصل في الأسرة وبناء استعدادات لدى زوجها للاستماع لآرائها ومشاركتها له في انتقاء الاسم كمظهر من مظاهر تقاسم المسؤولية، وقد أثر هذا التغير العام على الواقع السوسيوثقافي للعادات والتقاليد

التسموية المحلية، وأصبحت العائلة وبالخصوص الأم الجزائرية تتعامل مع نمطين جديدين: أسماء مستحدثة تحمل بين طيَّاتها مبدأ الاندماج من جهة، وأسماء مستحدثة أخرى تحمل بين طيَّاتها مبدأ التضاد والتغيير السريع واللاَّمعيارية وقد صاحب هذا الأخير صراعات نفسية واجتماعية وثقافية مما أدى إلى تفتت و"إضعاف الرَّوابط العائلية" (BOURDIEU, P. et SAYED, A. 1964: 119)، وقد لعبت وسائل الإعلام الغربية بكل ما تبثه من قيّم ومعايير غريبة عن المجتمع الجزائري على تفعيل هذا الصِّراع بين العادات التسموية المحلية والمعروفة تاريخيًا وممارسة وعادات تسموية مستحدثة تتجاوز أشكالها الأصيلة واللَّصيقة بالمجتمع الجزائري، ومن هنا قمنا بطرح هذه التساؤلات:

1-كيف هي حالة العائلة في علاقتها بعاداتها وتقاليدها التسموية الموروثة بين جيل الحماة والكنه ؟

2-إلى أي مدى استطاعت الأم الجزائرية الحفاظ على عادات وتقاليد تسمية المولود الجديد أمام تبني عادات تسموية مستحدثة ؟

3-ما مدى تأثير الأم المتعلمة والعاملة بكل ما تحمله من قيم وتصورات جديدة في توسيع دائرة الأسماء المستحدثة ؟

2- تحديد المفاهيم:

ومن أجل إزالة لبس أو غموض بعض مفاهيم الدراسة ارتأينا تقديم تعريفات لبعض المفاهيم التي تشكل مفاتيح الولوج إلى عمق الموضوع:

العادات الاجتماعية (التقليدية والمستحدثة):

يمكن تعريف العادة الاجتماعية على "أنها سلوك متكرر يكتسب اجتماعيا ويتعلم اجتماعيا ويمارس اجتماعيا ويتوارث اجتماعيا"، (دياب، ف.1980: 107) وحسب ابن خلدون يعتبر الإنسان " ابن عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه،

فالذي ألفه في الأحوال صار خلقا وملكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجبلة"، (ابن خلدون، ع. 2003: 130) وتنقسم العادات الاجتماعية إلى قسمين:

أولا: العادات التقليدية: "تقصد بها العادات القديمة، المتأصلة الراسخة في الثقافة، التي تدوم طويلا، فيأخذها الخلف عن السلف..." (دياب، ف. 1980: 152)

ثانيا: العادات المستحدثة: " هي كل ما يستجد في المجتمع من ممارسات أو استعمالات اجتماعية سواء في شكل موضات أو بدع أو نزوات أي تقاليع...عادات لا تتصف بالاستقرار والدوام، فهي في الغالب قصيرة الأجل سريعة الزوال." (دياب، ف. 1980: 217)

عادات دورة الحياة:

تتمثل عادات دورة الحياة في العادات التي يمر بها الفرد في مسار حياته، وهي على ثلاث مراحل أساسية:

أولا: الميلاد: الحمل، الوضع، الوليد، السبوع، التسمية، البلوغ.

ثانيا: الزواج: الخطوبة، الشبكة، الزفاف، بيت الزوجية، فض البكارة، الصبحية، التأخر في الزواج، زواج الأقارب، الرجل والمرأة بعد الزواج.

ثالثا: الوفاة: استعداد الحي للموت، العلامات التي تنبؤ بوقوع الموت، سلوك الميت والمحيطين به قبيل وبعد الموت، إعلان الوفاة، الغسل، الكفن، النعش، الدفن، الجنازة، صلاة الجنازة، الجنابة، القبر، عملية الدفن، المأتم، قيود الحداد، مناسبات، زيارة القبور، الزيارة نفسها، الرحمة، مناسبات تقبل العزاء، مصير الأرملة. (الجوهري، م. 1978: 71)

طقوس العبور:

هي تلك الطقوس والشعائر التي تمارس في حالة انتقال الفرد من مرحلة معينة في حياته الاجتماعية إلى مرحلة أخرى كما هو الحال مثلا في الولادة

والختان والزواج والوفاة، ويرجع الفضل في دراسة هذا الموضوع إلى " أرنولد فان جنب " (Arnold VAN GENNEP) الذي ألف كتابا بعنوان (Les rites de passage) 1909، تتبع فيه هذه الشعائر وبين أن الانتقال يتم على ثلاث خطوات، ففي الخطوة الأولى ينفصل الفرد من بيئته القديمة ومن مستواه الاجتماعي وتصاحب ذلك شعائر خاصة تعرف باسم شعائر الانفصال، وتبدأ بعدها الخطوة الثانية أو الفترة الثانية التي يكون فيها الفرد في حالة محايدة لا ينتمي أثناءها إلى أي مرحلة اجتماعية ولا يعرف له مركز اجتماعي محدد ثابت ويحرم عليه أثناء ذلك الاتصال بالناس إلا حسب شروط ونظم يرسمها له المجتمع، وتعرف الشعائر التي تمارس في هذه الفترة بالشعائر الهامشية نظرا لأن الفرد يعيش في تلك الفترة على هامش الحياة الاجتماعية، وأخيرا تأتي الخطوة الثالثة التي ترمي إلى إدخال الفرد إلى البيئة الجديدة وإلى المستوى الاجتماعي الجديد، وتصاحب تلك الخطوة أيضا شعائر خاصة تعرف باسم شعائر الدخول أو الاندماج في المجتمع. (بريتشارد، إ. 1960: 131-132)

تعريف الاسم:

يعرفه الفيروز آبادي في القاموس المحيط " اللّفظ الموضُوعُ على الجَوْهَرِ والعَرَضِ للتَّمييز والجمع: أسماءٌ وأسْماواتٌ وجمع الجمع: أسامي وأَسامٍ." (آبادي، ف. 2003: 1296)

وتعتبر " سوبلي ج. " (J. SUBLET) الاسم بأنه " البطاقة التي يتقدم بها الفرد للتعريف بنفسه وسط المجتمع، في دائرة من العلاقات تتوسع باستمرار." (قشي، ف. 1998: 8)، ويعتبر" أرنولد فان جنب" الهدف من التسمية "هو أولا تمييز الطفل، ثانيا دمج الطفل في المجتمع بصفة عامة." (VAN GENNEP, A. 1909: 89)، أما أكثر التعاريف استعمالا في الدراسات الأنثروبولوجية هو اعتبار الاسم "تكريس للميلاد الاجتماعي للكائن البيولوجي، الذي يدخل من خلال التسمية

إلى عضوية الوحدة الاجتماعية التي ينتمي إليها." (الجوهري، م. وآخرون. 1996: 89)

تعريف العين:

العَيْنُ: البَاصِرَةُ، مؤنثة جمعها: أَعْيَانٌ وأَعْيُنٌ وعُيُونُ ويكسَرُ، جمع الجمع: أعْيُناتٌ...والإصابة بالعين جمعه: عِينٌ، بالكسر وككتُب. وما أَعْيَنَهُ. (آبادي، ف. 2003: 1098)

ويعتبر بن خلدون الإصابة بالعين: تأثير من نفس المعْيَانِ، عندما يستحسن بعينه مدرَكاً من الذوات والأحوال، ويُفْرِطُ في استحسانه وينشأ عن ذلك الاستحسان حسد يرومُ معه سلب ذلك الشيءِ عمن اتصف به، فيُؤَثِرُ فسادَهُ، وهو جِبِلَّةٌ فِطْرِيَّةٌ (ابن خلدون، ع. 2003: 495).

ويتقارب مفهوم العين في معناه لمفهوم " المانا " عند " مارسيل موس "حيث يتبين من خلال تحليل مضامينها أن هذين المفهومين يتميزان بخاصيتين أساسيتين: "أولا: كونهما تحاولان أن تجعلا العالم مفهوماً للفاعلين الاجتماعين، كما تتدخلان في كل مرّة كفئتين إيديولوجيتين "وقائيتين ردعيتين" في كل محاولة لخرق نظام العلاقات الاجتماعية وتفاديا للعقوبات التي يفرضها ." (OUITIS , A.1977: 46)

وفي الأخير يمكن أن نعرف العين بأنها تلك القوى الرمزية التي تقذفها النظرات الحاسدة، أو"التأثيرات النفسية" التي تصيب الإنسان حتى عن غير قصد، والتي ينسب إليها ما يحل بالأفراد من الأمراض مهما كان نوعه نفسيا، عقليا أو جسديا أو الفشل أو التغير المفاجئ للمكانة، كما تعيد التوازن النفسي للفاعلين الاجتماعين بمحاولتها جعل العالم مفهوماً لهم، كما تتدخل في كل مرّة كآلية دفاعية ردعية في كل محاولة لخرق نظام العلاقات الاجتماعية ولتفادى العقوبات التي يفرضها هذا النظام .

التثـــاقـــف:

هو العملية التي يستطيع الفرد أو الجماعة عن طريقها اكتـــساب الـــصفات الحضارية لجماعة أخرى من خلال الاتصال والتفاعل بينهمـــا، غيـــر أن التثـــاقف بالنسبة للفرد هو عملية تعلم اجتماعي أشبه بعملية التنشئة الاجتماعية التي تلعب فيها اللغة دورا جوهريا، أما بالنسبة للمجتمع؛ فالتثاقف هو عملية انتشار القيم والمقاييس والأحكام الاجتماعية إلى المجتمعات الأخرى مع تعرضها لعملية التبدل التي تجعلها منسجمة مع ظروف وأحوال المجتمعات التي دخلت إليها، غير أن هـــذه المقـــاييس والقيم والأحكام التي دخلت إلى هذه المجتمعات غالبا ما تسبب لها ظاهرة الـــصراع الحضاري، أي الصراع بين القيم الأصيلة والقيم الدخيلة (ميتشل، د. 1998: 13)

3-الإطـــار النـــظري:

بالنظر إلى الإشكالية التي تعبر عن انشغالنا في هذه الدراسة وبالنظر إلى فرضيات العمل التي اقترحناها والتي تتضمن الجيل والمستوي التعليمـــي والعمـــل على العادات التسموية، فإن هذه المعطيات توجهنا إلى محاولة الاقتراب مـــن هـــذا الموضوع من زاوية التنشئة الاجتماعية كنظرية عامة تهتم بنقل الفرد مـــن كـــائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، ووفقا لهذا التصور تم الجمع بين أكثـــر مـــن مـــدخل نظري في آن واحد، استخدمت كإطار تصوري ملائم للدراسة:التفاعلية الرمزيـــة، طقوس العبور.

4-المناهـــج والتقنيـــات:

4-1-المناهج المتبعة في الدراسة:

شمل البحث الاستطلاعي كخطوة أولى مقـــابلات لعـــدة عـــائلات وهـــي مقابلات غير مقننة في هذه المرحلة حيث قمنا أحياناً بمقابلة المبحوثات فـــرادى أو

جماعيًا، وقد زودنني بمعلومات مهمّة ساعدتني في تحديد مشكلة بحثي وعيّنة البحث، وقد قمنا بتوزيع 60 استمارة تجريبية على الجدات والأمهات، كما قمنا بزيارات لعدة بلديات بـ (القبة وحسين داي وبلكور وحيدرة) للإطلاع على سجلات الحالة المدنية وعلى قوائم الأسماء التقليدية الجزائرية الأكثر تداولا أثناء الفترة الاستعمارية بهدف الوقوف على مدى نمو المعجم الاسمي سنويا، وقد لاحظنا أن المعجم الاسمي للأجيال الماضية قبيل الاستقلال السياسي كانت: أسماء تقليدية بعيدة كليا عن معجم الأبناء والأحفاد الذي يبتعد تدريجيا نحو قطيعة مع الأسماء التقليدية خاصة في العشرية الأخيرة، أي فترة التسعينيات، وكل هذا قد سَاعَدني في تعديل استمارة المقابلة لتأخذ في الأخير شكلها النهائي.

ونظرا لطبيعة الموضوع فإننا عمدنا تحليلا كيفيا وكميا بالاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي الذي "يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا ويعبر عنها تعبيرا كيفيا أو تعبيرا كميا. فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطيها وصفا رقميا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى" (بوحوش، ع. والذنيبات، م .2001: 139)، كما استعنا بالمنهج المقارن أولا للمقارنة بين واقع تسمية المولود في الماضي والحاضر أي بين جيل الحماة والكنة، وكذلك للمقارنة بين أجوبة المبحوثات الأمهات من مختلف المستويات التعليمية والمهنية.

لقد اعتمدنا في بحثنا على تقنية استمارة المقابلة وتعرف بأنها " نموذج يضم مجموعة الأسئلة التي توجه للأفراد أثناء المقابلة بغية الحصول على بيانات معينة، فالاستبيان عبارة عن وسيلة قائمة بذاتها تستخدم لجمع البيانات بطريقة سريعة وعن موضوعات محددة ومن مجموعة كبيرة من الأفراد وتستخدم استمارة الاستبيان كأداة لهذه الوسيلة، أما استمارة المقابلة فهي تعد خصيصا للاستعانة في

جمع البيانات أثناء مقابلة الأفراد موضوع الدراسة." (زكي ، ج. و ياسين، س. 1962: 229)

ونظرا لغياب قاعدة إحصائية تسمح لنا بقياس تجانس الفئات تحتوي على توزيع سكاني لمدينة الجزائر العاصمة وفق كل المتغيرات المطلوبة وخاصة الجيل والمستوى التعليمي والوضعية الاجتماعية لم نتمكن من اعتماد أسلوب العينة العشوائية أو الاحتمالية " وهي الحالة التي يكون فيها جميع أفراد المجتمع الأصلي للبحث معروفين ومحددين" (عبيدات، ذ. وآخرون. 1998: 116) ، لذلك لجأنا إلى أسلوب العينة غير العشوائية "الذي يمكن استخدامه في حالة عدم معرفة جميع أفراد المجتمع الأصلي" (عبيدات، ذ. وآخرون. 1998: 116)، وذلك من خلال اعتمادنا على ميزة العينة القصدية وهي " العينة التي يتعمَّد الباحث أن تتكون من حالات معينة، لأنه يرى أنها تمثل المجتمع الأصلي تمثيلا صادقا وتحقق له الغرض من دراسته" (عريفج، س. وآخرون.1987: 62) ، وعلى ميزة العينة التراكمية أو الكرة الثلجية.

المجال البشري: وقد كان التحقيق موجه لفئة الأمهات وبالتحديد الحموات والكنات اللواتي أنجبن مواليد أحياء ويملكن على الأقل ولد وبنت، كما عمدنا إلى تحديد فئات السن للكنات ما بين 25 إلى 40 سنة، وأن يكون توزيعهن بالتساوي حسب المستوى التعليمي.

المجال المكاني: تمت الدّراسة الميدانية في محافظة الجزائر الكبرى وذلك لكونها ممثلة رئيسية للتغيرات والتحوّلات الاقتصادية والسّياسيّة والسوسيوثقافية وقد تم زيارة المقر السكني لنموذج الأمهات غير العاملات، أما الأمهات العاملات فكان الاستجواب يجرى في مقر العمل أو في البيت.

4-2-مواصفات العينة:

تتكون العينة من 304 مبحوثة:152 أما تمثل النموذج العصري، و152 جدة تمثل النموذج التقليدي، وقد حرصنا على الحصول على تمثيلية عالية لمجتمع البحث وذلك من خلال توزيع أفراد العينة على النحو التالي:

1. بالنسبة للمستوى التعليمي فإننا تعمدنا أن يكون توزيع الكنات بالتساوي، أما بالنسبة للحموات فقد سجلنا أعلى نسبة عند الأميات ب (70.39 %).

2. بالنسبة لتوزيع المبحوثات حسب الوضعية المهنية فإننا نلاحظ توزيع الكنات بالتساوي بين فئة العاملات وغير العاملات، بينما نسجل أعلى نسبة عند الحموات في الفئة غير العاملة بنسبة (94.73 %).

3. بالنسبة لفئة السن بالنسبة للكنة فهي تتراوح ما بين 25 إلى 40 سنة، حيث نسجل أعلى نسبة في فئة [25-30] بنسبة (36.18 %) وأصغر نسبة في فئة [35-40] بنسبة (30.92 %)، بينما نسجل أعلى نسبة عند الحموات في فئة [55-65] بنسبة (42.10 %) وأقل نسبة في فئة [75-83] بنسبة (26.97%)

4. (55.26 %) من الكنات ينتمين إلى الأحياء الشعبية، و(49.31 %) منهن يسكن في شقق، و(66.44%) منهن ينتمين إلى أسر نووية.

5-صعوبات البحث:

تعرضنا من خلال بحثنا لعدة صعوبات في المجالين النظري والميداني: ففي بناء الموضوع نظريا وباعتبار بحثنا هو محاولة لرصد عادة لم تنل نصيبها من الدراسة والتحليل؛ فتسمية المولود هي من المواضيع التي ظلت طويلا في عداد التهميش، وبالتالي كانت أول وأكبر العراقيل هي ندرة المراجع مما جعلنا نعتمد على مجهودنا الخاص، حيث لم نعثر على مراجع كثيرة تخدم صلب الموضوع وكل ما وجدناه كتب ومجلات تعرضت إلى جانب واحد أو تشير إلى جزء صغير من الموضوع.

وفي الدراسة الميدانية وبما أننا اعتبرنا الأسرة ميدانا لدراستنا استغرقت العملية وقتا طويلا وتطلب منا جهدا كبيرا في الاتصال بالمبحوثات مباشرة لملء الاستمارات

6- النتائج المتوصل إليها:

رغم ما تحظى به الأم من امتيازات وضعها التعليمي والمهني وممارستها الاجتماعية التي لا تتماشى والذهنيات التقليدية التي تعكس صورة للتمييز بين الجنسين، إلاّ أنها تقف عاجزة عن مواجهة الأفكار العامة لمجتمع رجالي بل تصبح مندمجة فيها آليا نظرا لقوة قهرها على الأفراد، وتعيد بذلك إنتاج هذه الذهنيات التقليدية بتفضيلها إنجاب الولد عن البنت باعتباره الفاعل الاجتماعي الوحيد المسؤول عن استمرارية العائلة باستمرار أسماء رجالها وكأن فناء وجودهم المادي يعوضه وجود أسمائهم من بعدهم إذ الاسم أبقى وأخلد من حامليه، بينما تعتبر البنت غير مسؤولة عن استمرارية العائلة وليست بالتالي إلاّ وسيلة يستعملها الرجل لتأمين هذه الاستمرارية بالزواج الداخلي أو بتقوية الولاء عن طريق المصاهرة مع عائلات قد تكون في موقع الند.

اتجه الجيل الثاني إلى توسيع دائرة الأسماء المستحدثة، خاصة على مستوى الأسماء المؤنثة لعدم مسؤولية الأنثى عن استمرارية العائلة باستمرار أسماء رجالها، كما اتجهت الأم المتعلمة والعاملة إلى توسيع أكثر من دائرة الأسماء المستحدثة تدل على انفتاحها أكثر على العالم الخارجي، وعلى سعة إطلاعها بانتقائها أسماء اشتهرت من وعاء التراث الحضاري والتاريخي، وتأثرهما بعملية التثاقف مع المحيط الاجتماعي عامة ومع محيط العمل بالنسبة للأم العاملة بصفة خاصة بانتقائها اسم من مجموعة الأسماء المتداولة لأبناء العاملين والعاملات معها والذين ينتمون إلى أكثر من محيط اجتماعي، كما لعبت وسائل الإعلام التي دخلت كل بيت دورا كبيرا في تضييق دائرة الأسماء التقليدية على حساب الأسماء المستحدثة.

وباعتبار الأنثى غير مسؤولة عن تماسك بنية العائلة لاستعدادها للتخلي عن العائلة بالزواج الخارجي جاءت دائرة أسماء الإناث الغربية أوسع من دائرة الأسماء المذكرة عند الجيل الثاني بينما تنعدم هذه الأخيرة عند الجيل الأول، وهذا

يدل أن الظاهرة مستحدثة، حيث بدأ الغزو الغربي للأسماء على مستوى الذكور ابتداء من التسعينيات خاصةً بالنسبة للأطفال المولودين في بلاد المهجر حيث يحاول الأولياء تجنيب أبنائهم المضايقات والتهميش الذي نالهم وغالباً ما يتم انتقاء الاسم بناءً على التشابه بين الاسم العربي والاسم الغربي(ريان،Rayan)، (سامي، Sami)، (مريم – مريام، Marie).

يمكن القول إن التغير الذي طرأ على الاسم الجزائري لم يمس الجوهر ولم يؤثر على التقليد العام، فلقد حافظت عائلات المبحوثات على هوية الاسم العربي وعلى دلالته الدينية وعلى الجذور الأمازيغية.

إلا أننا نشهد في الأسماء الجزائرية صراعا بين قيم الانفتاح على الاسم المبتكر وقيم الانغلاق والعودة إلى الأصول، صراع بين القديم والحديث، وهي كالتالي:

أولا: الانفتاح على " الحضارة العربية الإسلامية " بانتقاء أسماء عربية جديدة في سبيل إنتاج تراكم اسمي والحفاظ في نفس الوقت على هوية الاسم الجزائري.

ثانيا: الانفتاح على الحضارات الأخرى وتقليدها، ونتج عن ذلك الانفصال عن الجذور الثقافية باستعارة أسماء غربية أو تحريف وتشويه الأسماء العربية انبهارا بالثقافة الغربية، وكذلك استعارة أسماء فارسية للبنت بغية إضفاء نوع من الجمال على حاملته.

ثالثا: الانغلاق والعودة إلى الأصول كما يتجلى ذلك في النزعات التي تميل أحيانا إلى التأكيد على "الاسم الأمازيغي" أو على "الاسم التقليدي الجزائري" ورفض الأسماء المبتكرة بحجة أنها مستوردة ،أي استيراد أسماء من المشرق العربي أو من الحضارة الغربية.

وقد تدنت مشاركة الجدان في تسمية المولود بعدما كانا يفرضانه فرضا في إطار الأسرة الممتدة مما سمح بنمو أسماء جديدة على حساب الأسماء القديمة لم يساهم في انتقائها أهل الزوج.

لقد أصبحت الأم تحظى بامتيازات وضعها التعليمي والمهني، وأصبحت تشغل أدوارًا خارج المنزل وذلك نتيجة لتطوّر أساليب التنشئة الاجتماعية وما منحته لها من مكانة وأدوار جديدة ومتعددة، و قد ساهم وضعها الجديد في تشجيع فرص التواصل في الأسرة وبناء استعدادات لدى زوجها للاستماع لآرائها ومشاركتها له في انتقاء الاسم كمظهر من مظاهر تقاسم المسؤولية، هذا لا ينفي أن إثبات الأم لذاتها في المحيط الاجتماعي باكتساب نوع من الاعتراف الاجتماعي وشرعية ممارسة حقها في اتخاذ القرارات داخل الأسرة مرهون بعدم تجاوز حدود معنية، حيث مازلنا نشهد التحيز الجنسي في عناية رجال العائلة (الأب والجد) بتسمية الذكر.

لم يستجب الجيل الثاني لنظام القرابة الذي يعمل على المحافظة على تماسك بنية العائلة وشد حاضرها إلى ماضيها بخلف اسم القريب الميت في الحي، في محاولة رمزية لإعادة إحيائه بالاسم، والتخلي عن خلف الأسماء يظهر جلياً عند الأم المتعلمة والعاملة رغبةً منها في توسيع دائرة الأسماء الجديدة ولا يتم ذلك إلا بعدم استمرارها في إنتاج الأسماء التقليدية وباستقلالية الأبناء اسمياً عن أسماء الأقارب.

اتجه الجيل الثاني إلى التخلي عن الاعتقاد بقدرة الأسماء على دفع العين : الأسماء المذمومة، الأسماء غير المألوفة التي تطلق على الإناث، الأسماء التي تدعو إلى العيش، الأسماء المشتقة من الأصل "العربي " للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم–، الأسماء المشتقة من العدد خمسة، إطلاق اسمين على المولود الجديد.

ونظراً لما تحمله الأم المتعلمة والعاملة من ذهنيات جديدة نابعة عن مستواها التعليمي من جهة وعن ممارستها الاجتماعية من جهة أخرى وانفتاحها أكثر على العالم، فهي أكثر وعياً بالأهمية التي سوف يترتب عليها الاسم ومعناه على شخصية الطفل، هذا لا ينفي أن الجيل الثاني أطلق أسماء مستحدثة على الطفل تعرقل نمو شخصيته، والذي غالباً ما يحدث نتيجة عدم استيعاب الاسم قبل تسمية الطفل كإطلاق الأسماء الغامضة جنسياً التي تحيل إلى الذكر والأنثى على السواء مثل:إحسان، إكرام، أنس ....، والأسماء المزدوجة المعنى حسن ومذموم مثل رتيبة بمعنى مرتبة وفي نفس الوقت تعني الرتابة، ومازن بمعنى مضيء الوجه وتعني أيضا النمل الأبيض...، أو إطلاق أسماء الملائكة مثل: ملاك، التسمية المركبة والتي تشعر الطفل بازدواجية تحاصره مدى الحياة، والأسماء الأجنبية والأسماء العربية المحرفة التي لا تعبر عن هوية الطفل ولا عن انتمائه وهي نتيجة حب التقليد انبهارا بالثقافة الغربية فحسب بن خلدون "المغلوب مولع بتقليد الغالب"، وإطلاق أسماء بطريقة عشوائية لجهلهم أصل الاسم.

ويبقى في الختام أن نؤكد أن هذا البحث صالح للتعمق فيه، بحيث أن دراسة هذا موضوع يستلزم في الحقيقة الأمر إمكانيات علمية ومادية أوسع لهذا نأمل أن تجرى في المستقبل دراسات وأبحاث حول موضوع الأسماء بشكل أوسع.

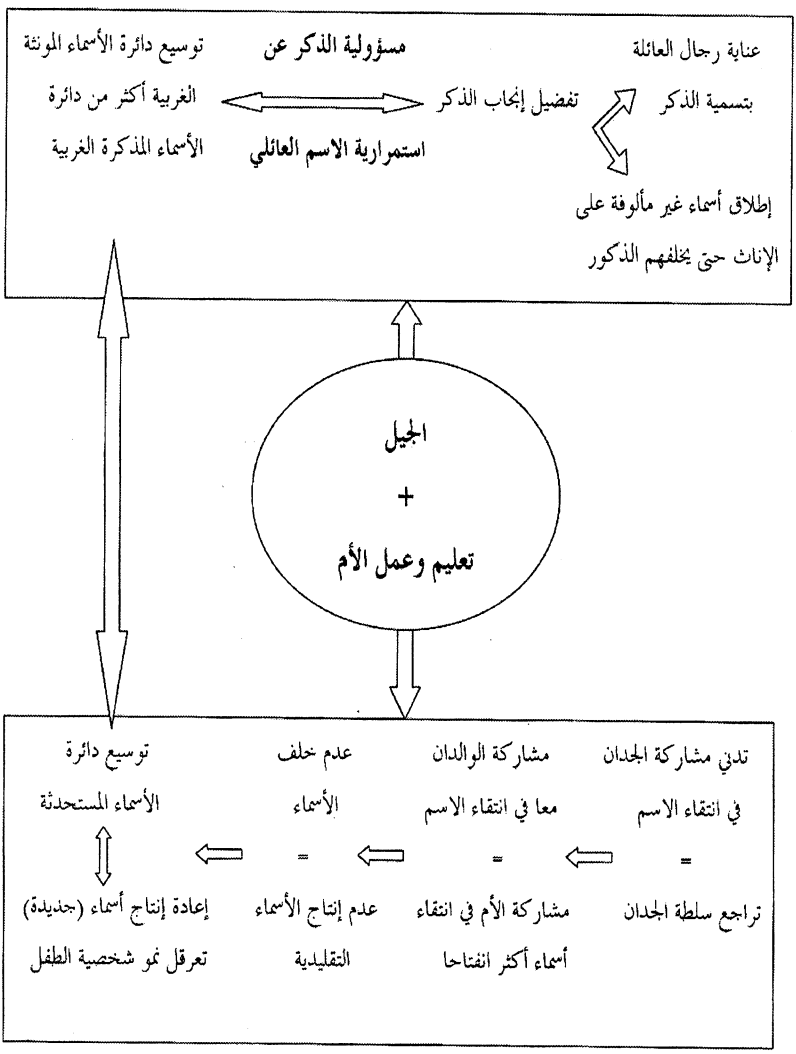

الشكل (أ) يوضح تأثير الجيل و تعليم وعمل الأم على العادات التسموية

قـــائـــمـــة المـــراجـــع:

المراجع باللغة العربية:

01- آبادي (الفيروز)، القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط.7، 2003.

02- ابن خلدون(عبد الرحمٰن)، المقدمـــة، بيروت: دار الفكر، 2003.

03- بريتشارد (ايفانز)، الأنثربولوجيا الاجتماعية (علم الإنسان الاجتماعي)، ترجمة أحمد أبو زيد، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1960.

04-بوحوش(عمار)، الذنيبات (محمد محمود)، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2001.

05- بونت (بيار) و إيزار (ميشال) ، معجم الاثنولوجيا والانتربولوجيا ، ترجمة: مصباح الـصمد، مجد ، بيروت، 2006

06- الجوهري (محمد) وآخرون، دراسات فـي الأنثروبولوجيـا الاجتماعيـة: الطفـل والتنـشئة الاجتماعية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1996.

07-الجوهري (محمد)، علم الفلكلور: دراسة في الأنثربولوجيا الثقافية، الجـزء 1، القـاهرة: دار المعارف، ط. 3، 1978.

08- دياب (فوزية)، القيم والعادات الاجتماعية: مع بحث ميداني لـبعض العـادات الاجتماعيـة، بيروت: النهضة العربية، ط.2، 1980.

09- زكي (جمال)، ياسين (السيد)، أسس البحث الاجتماعي، القاهرة: دار الفكر العربي، 1962.

10-شرابي (هشام)، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط.4، 1991.

11- قاضي (فريدة)، عادات استقبال الطفل بين التقاليد والحداثة : السابع، التسمية، معتقـد العـين، التقميط ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2006-2005

12- قشي (فاطمة الزهراء)، « دوائر المصاهرات في قسنطينة مع نهاية القرن الثـامن عـشر»، إنسانيات، وهران: مركز البحث في الأنتربولوجية الاجتماعية والثقافية، المجلد2 ، عدد 4، جانفي-أفريل، 1998، ص ص.5 - 22

13- عبيدات(ذوقان) وآخرون ،البحث العلمي: مفهومه أدواته وأساليبه، عمـــان: دار مجـــدلاوي للنشر والتوزيع، ط.6، 1998.

14-عريفج (سامي) وآخرون، في مناهج البحث العلمي وأساليبه، الأردن: دار مجـــدلاوي للنـــشر والتوزيع ، ط.1، 1987

15-ميتشل (دينكن)، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحـــسن، بيـــروت: دار الطليعـــة للطباعة والنشر، ط.1، 1998

المراجع باللغة الفرنسية :

01-BOURDIEU (Pierre), SAYED (Abdel Malek), Le déracinement, la crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie, Paris : Ed. De Minuit، 1964.

02-BOURDIEU (Pierre), Le sens pratique, Paris : Les Editions de Minuit, 1980

03-MEGHERBI (Abdelghani), Culture et personnalité algérienne de Massinissa à nos jours, Alger : ENAL, O.P.U, 1986.

04- OUITIS (Aïssa), Les contradictions sociales et leur expression symbolique dans le Sétifois, Alger: SNED, 1977.

05-VAN GENNEP (Arnold),Les rites de passage, Paris : Nourry, 1909.

06-ZERDOUMI (Nefissa), Enfants d'hier : L'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien, Paris : Maspero, 1979.